

ميلاد ماسينيسا

عبد الله حمان⁽¹⁾

في سنة 1970 في وهران ولد عندي طفل فسميته على بركة الله ماسينيسا، فذهبت إلى البلدية لأسجل المولود الجديد فقال لي موظف الحالة المدنية، ماسينيسا هل ذكر أم أنثى؟
فقلت له : ذكر.

فقال لي : كيف يكتب، فكتبته بالفرنسية Massinissa فقال لي هل هو اسم للملك ماسيني؟

فقلت له : نعم، فعند ذلك سجل اسمه و أعطاني رقم شهادة المولود، تم بعد ذلك ذهبت إلى جريدة الجمهورية و المجاهد و كتبت إعلانا عن ميلاد ماسينيسا في وهران عند حمان عبد الله.
و في الغد تلقيت استدعاء من طرف البلدية فذهبت إليها و استقبلني مدير الحالة المدنية و هو "....."، فوجدت أمام مكتبه اثنان من رجال الدرك.

فقال لي مدير الحالة المدنية: نريد منك أن تبديل اسم هذا المولود لأنه ممنوع.

فقلت : لأنه اسم بربري، فقلت له و من منعه.

فقال لي : ممنوع بأمر من الحكومة.

فقلت له : أعطيني بيان المنع من الحكومة كتابيا مطبوعا و رسميا و كذلك اسم الذي منعه و تاريخ المنع و رقم المادة فقال لي: أنا لا أملك بيان المنع من الحكومة.

فقلت له : إذا هذا الاسم ممنوع لفظيا بدون أية بيينة مكتوبة من الحكومة، فقل مباشرة إنك أنت الذي تريد منعه.

فنطق الدركي و قال لي : لا بد لك أن تبديل هذا الاسم بغيره، فقلت له يا سيدي أنت عسكري و أنا مدني و مشكلتي ليست معكم، إنها مع مدير الحالة المدنية و هذا ابني اسميه كما أريد و لا دخل لكم في هذا،

⁽¹⁾ Ancien Président de l'association Numedia, 31000, Oran, Algérie.

أسمي ولدي كما أريد، ولا أرضى باسم آخر، إذا حتى زوجتي ليست زوجتي فتعالوا إلى بيتي وخذوها، فضحكوا وضحك مدير الحالة المدنية و قال: أنا سجلت هذا المولود أول مرة وعندما أرسلت اسمه إلى المحكمة رفضه وكيل الجمهورية و من عنده أتاني الأمر بالرفض وتبديله باسم آخر.

و قال لي : انه السيد "....."، فأذهب إليه و اطلب منه قبول هذا الاسم الذي رفضه.

فقلت له : شكرا سأذهب إليه.

فلما ذهبت إلى المحكمة لكي استقبل وكيل الجمهورية المذكور لم أجده و كان غائبا و رجعت في الغد إلى المحكمة أريد لقاءه فوجدته غائبا و في اليوم الثالث وجدته غائبا.

فطلبت من الشرطي الحارس من هو وكيل الجمهورية الذي يخلف السيد"....." في ذلك اليوم؟

فنظر الشرطي إلى السبورة و قال لي انه السيد "....." وكيل الجمهورية و انه في الطابق الأول.

فصعدت إلى الطابق الأول و طلبت من الحاجب استقبال السيد "....." وكيل الجمهورية.

فأدخلني إلى مكتب وكيل الجمهورية و أعطيت له الاستدعاء الذي أرسل إلي من طرف البلدية من الحالة المدنية.

فقال لي : انا على علم بهذه القضية و منع هذا الاسم لسبب أنه ليس جزائريا.

فقلت له : يا سيدي إن ماسينيسا اسم جزائري و شمال إفريقي و مغاربي معروف من القدم.

فقال وكيل الجمهورية أريد منك أن تعطيني بيانا و حجة على أن هذا الاسم جزائري الأصل.

فقلت له : يا سيدي الفاضل انظر إلى قسم التاريخ في القاموس و ستجد فيه اسم ماسينيسا، انه جزائري.

و كان أمامه قاموس اللغة الفرنسية التي كانت رسمية في المحكمة في ذلك الوقت.

فقال وكيل الجمهورية غاضبا و مضطربا: لا أريد قاموس الفرنسية بل أريد قاموس اللغة العربية، و خطف قاموس الفرنسية و رماه تحت المنضدة بغضب و قلق.

فقلت لذا سيدي : أنك حاليا تعمل بقاموس الفرنسية و لما تحدثت إلى حضرتك رميته غاضبا و تنكرت له، إذا لماذا لا تحضر أمامك قاموس اللغة العربية ؟ فسكت باهتا.

فقلت له: هذا شيء سهل سأحضر لكم قاموس العربية و متى أرجع إليكم ؟

فقال وكيل الجمهورية : في هذا اليوم على الساعة الثالثة. رجعت من المحكمة إلى داري و فتحت المكتبة و أخذت منها قاموس اللغة العربية، "المنجد في اللغة والادب و التاريخ و العلوم"، المطبوع في لبنان في سنة 1956 من طرف الأب لويس معلوف و الأب لويس فردينال توتل اليسوعي، فلم أجد فيه تاريخ الجزائر القديم ما عدا الجزائر كانت فرنسية و لم تكن حرة.

و لما لم أجد في القاموس اسم ماسينييسا حمقت و ضربت رأسي بلكمتين.

تم فتشت في كتب التاريخ التي وضعها الجزائريون منهم مبارك الملي، عبد الرحمان الجيلالي، التوفيق المدني، يحي بوعزيز، مولود قاسم، عبد الحميد بن شنهو، و الكثير من المؤرخين و تأليفهم تدرس في الجزائر بأمر من وزير التعليم "عبد الرحمان بن حميدة" بعد ذلك حمدت الله على لقاء الحجة و البيان الساطع والبرهان الثابت على اختياري لهذا الاسم فهو فخر لي.

ثم أخذت معي الكتب التاريخية و كتبت طلبا من وكيل الجمهورية الاعتراف بالاسم الذي سميته لإبني، و معي الحجة المكتوبة و عندما استقبلني تناول التي أعطيته إياها و فتح الكتاب و بدأ يقرأ و يهجي لأنه لا يحسن العربية فقلت معذرة يا سيدي سأقرأ لك العديد من المقالات التاريخية التي كتبتها الأقلام الجزائرية.

فسمع مني ما قرأت من المقالات و قاطعني قائلا:

وكيل الجمهورية : انا على علم من أن اسم ماسينييسا هو جزائري و لكن لا يمكن أن أرضى أو أرفض لوحدي هذا الاسم و لا بد لي من استشارة الوكلاء الآخرين، إذا أرجوك أن تنتظر حتى يحضرون.

أمرني بالجلوس فجلست تم تناول الهاتف و استدعى وكلاء الجمهورية لدى محكمة وهران "....." و كتابهم حتى امتلأت القاعة بالحقوقيين.

تقدم "....." و أعطاني الطلب المكتوب بيدي باللغتين و معه كتب التاريخ إلى رئيسهم "....." و كان يحسن العربية و الفرنسية و حتى اللاتينية و اليونانية و له تأليف و قصائد رائعة بالعربية و هو شاعر مجيد و كاتب بليغ و كان عمره يتجاوز الستين والسيد "....." أيضا وضع طلبي المكتوب أمام من رفض اسم ماسينيسا.

فنظر إلي و قال لي : نحن نعلم جميعا ان ماسينيسا اسم جزائري قديم و لكن هذا اسم الجاهلية و نحن اليوم عرب و مسلمون و لا يمكن أن نقبل هذا الاسم الذي كان قبل الإسلام.

فقلت له : إننا نقنّدي بالأسماء الموجودة قبل الإسلام فإسم داود و سليمان و إبراهيم و إسماعيل و موسى و عيسى و يونس إلى آخرهم و كل أسماء المسلمين كانت موجودة من قبل الإسلام.

قال "....." : هؤلاء الأسماء للأنبياء و المرسلين نسمي بهم أبناءنا و لكن ماسينيسا ليس نبيا و لا مرسلا و لا يمكن أن نسميه و نقنّدي به.

فقلت له : انه ملك و بطل و يستحق الخلود لأنه حرر العباد و وحد العباد و حارب الاحتلال الروماني و الفينيقي و البيزنطي، فقال "....." : ما فيش ملك أو بطل نسمي باسمه قبل الاسلام، نحن نعترف بأسماء الأنبياء فقط.

فقلت: إذا الأسماء التي كانت قبل الإسلام لا تسمى في الإسلام.

فقال : نعم لا نرضى بها و نحن مسلمين.

فقلت له : إذا سيدي فإسم عبد الله و أبو بكر و عمر و عثمان و علي و الزبير و حمزة و غيرهم هؤلاء الأسامي كانت موجودة في قریش من قبل الإسلام و نحن الآن مسلمون نسمي بأسمائهم و نقنّدي بهم.

فقال لي : هؤلاء الأسماء عندما أتى الإسلام أسلموا فنقنّدي بهم.

فقلت لهم : حتى ماسينيسا لو عاش في عصر الإسلام الأول لأسلم

مثلما أسلمت أسامي قریش.

فعند ذلك سكت وكيل الجمهورية و قال آخر معارضي أيضا: نحن وكلاء الجمهورية لنا الحق أن نرفض من يسمون أولادهم بأسماء الحيوان و الطير.

فقلت له : يا سيدي، لسنا في بلاد الحمر الجلود، في أمريكا، نحن في الجزائر، فأسماء الحيوان عندنا موجودة قبل الإسلام و بعده و حتى في قريش بنو أسد، بنو ضرغام، بنو حمير، بنو ثعلبة، زينب بنت جحش ام المؤمنين، سبيع، ذؤيب، كليب، فهد. هذا عند عرب الجزيرة وفي الجزائر قديما و حديثا بوبقرة، بومعزة، بونعجة، بوبغلة، السبع، النمر، الذيب، أوثن و حاليا في الشرق العربي فهد ابن عبد العزيز، حافظ الأسد، جعفر النميري، شكيب أرسلان، و معناه ابن الأسد بالكردية و هو مؤسس الجامعة العربية. فسكت هذا أيضا و تكلم آخر فقال : نحن وكلاء العدالة لنا الحق أن نرفض أسماء الجبال و الغابات و الصخور و الأجراف و المغارات.

وقلت له : يا سيدي أنا إنسان واع و أحفظ ما تيسر من القران العظيم و متمسك بالدين القويم و لست في عصر الجاهلية حتى اقتدى بأسماء الصخور و الجماد.

و لكن لي الحق إذا أردت التسمية بهذه الأسماء لأنها تحمل أسماء الرجال والأبطال الذين حاربوا استعمار الرومان و الفينيقيين و بزنتا و كل شبر و ناحية في هذه الأرض سميت بأسماء أبطالها الامازيغين و شأنهم مثل شأننا حاليا، فالشهداء الذين حاربوا فرنسا نسبي عليهم القرى و المداشر و التجمعات السكنية و الساحات العمومية و الجامعات و المدارس و الشوارع و الأنهج، فشان الجاهلية لشمال إفريقيا قديما مثلنا في الإسلام، فجرجر و أوراس و اويس و حيزر و فلاوسن و بوزقزة واوراسنيس و ايشمول و قلدمان، هؤلاء الرجال حاربوا الاستعمار الدخيل وهم قتلوا شهداء و سميت بأسمائهم كل النواحي التي قتلوا فيها، ورحم الله شهداء الوطن من قبل الإسلام و بعده و هؤلاء الأسامي في الوطن يعدون بالآلاف.

و قال "....." : نحن الآن مسلمون و قال صلى الله عليه و سلم "اختاروا لأولادكم أسماء و اختاروا لأولادكم أخوالا"
فقلت : نعم و الحديث يقول "خير الأسماء ما حمد و عبد"

فقال وكيل الجمهورية : لماذا كان الاختيار على اسم ماسينيسا
أليس هنالك أسماء أخرى غيره ؟

فقلت له: السبب يا سيدي عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري
كنت مجنونا بأمور الأمة و الوطن مفتونا و عاهدت نفسي أمام الله و
قلت يا إلهي عندما أتزوج لو تكرمني بولد ذكر سأسميه باسم من حرر
العباد ووحده البلاد انه هو اسم ماسينيسا وقد أوفيت بعهودي بيني و
بين ربي.

فأجابني باللغة الفرنسية و قال : كلا و إنما باختياركم لهذه الأسماء
تريدون إظهار الشخصية البربرية و توضيحها إلى الوجود و
المفاخرة بها و كان أن يتوقع أن أقول له لا و أنتكر لنفسي و بطاقة
تعريف كجزائري أصيل "النكوا" هذه أنا بالأمازيغية.

و تابعت كلامي و قلت سيدي وكيل الجمهورية القى عليكم سؤالين
و قال لي بالفرنسية: ما تريد ؟

فقلت له : هذه الشخصية البربرية كما تسمونها انتم، و كما اسميها
أنا بالأمازيغية، فأين وطنها ؟

فقال : الجزائر و قال آخر المغرب و قال آخر حتى تونس و
ليبيا و آخر من الضفة الغربية للنيل إلى موريتانيا.

و قلت لهم : و هؤلاء الأمازيغ هل ديانتهم مجوس أو يهود أو
مسيحيون ؟

فقال : كلا إنهم مسلمون، مائة بالمائة.

و قال آخر : بكل تأكيد

و قال آخر : بكل تأكيد

فقلت : إذا بكل فخر و شموخ و حماسة و اعتزاز أحب إظهار هذه
الشخصية بكل ارادتي و إخلاصي و فناني في سبيلها.

و انتم أيها السادة وكلاء الجمهورية و رجال العدالة : التي أنتم
حماتها، اطلب من حضرتكم إذا كانت هنالك مادة في العدالة فيما بين
البشر تمنع الإنسان الأمازيغي من توضيح أصالته و شخصيته
كالإنسان العربي أو الفرنسي، كأبي إنسان في الوجود، إنني أريد منكم
رقم هذه المادة و متى وضعت في قانون حقوق الإنسان حتى اشتكى
للذين وضعوا القانون فيما بين البشر للعدالة و لماذا ينكرون للإنسان
الأمازيغي أليس آدميا مثل كل الأدميين !

و من كل هذا بهتوا و سقط عليهم السكوت و الجمود كان الموت و لو طارت ذبابة لسمعتم طنينها.

و قلت لهم: أيها السادة وكلاء العدالة إنا في انتظار جوابكم. وعند ذلك تحدث رئيسهم ".....": أيها السادة ليس هنالك مادة في العدالة تمنع اسم ماسينيسا أو أي آخر من الأسماء الأمازيغية و لماذا كل هذا الكلام الفارغ و هذا الجدل إذا باسم العدالة و باسمي الخاص أنا راض و قابل للسيد حمان عبد الله بتسمية ابنه ماسينيسا و مبروك عليه.

فقلت لهم : و لكن أيها السادة إذا دخلت الأوامر السياسية و القومية إلى العدالة سقط القانون و الحق و العدالة و الشريعة الالهية و الوضعية و بقيت إرادة القوة.

ثم امضى "....." طلبي بالرضاء بتسمية ابني و خرجت من المحكمة قاصدا دار البلدية فوجدت الموظف الذي سجل اسم ابني طرد من وظيفته لمدة ثلاثة أيام.

ثم قال لي: ماذا فعلت مع العدالة و قلت له إن الاسم مقبول فأخذ رسالة القبول مني يركض بها مبتهجا بين أصدقائه و يقول لهم شفت قلت لكم، شفت قلت لكم مقبول، مقبول.

و قلت لهم: عجبت لهذه السلطة التي تنتكر لنفسها و تاريخها. يحتقرون كل ما هو أصيل و يفاخرون بكل ما هو دخيل. و منذ ذلك التاريخ و هذا الاسم يعد بالآلاف بين الجزائريين، و تلقيت رسائل الشكر و التقدير من كل بقاع الوطن.